

حول الأرقام الغيبارية أيضاً*

عزيرتي الجزيره.

بعد التحية :

اطلعت على مقال الدكتور أحمد حافظ عطية نجم المنشور يوم الثلاثاء ١٣ رجب ١٤٠٣هـ بعنوان : «عن الأرقام العربية مرة أخرى» ثم بعنوان أضخم : «اعطونا البراهين والأدلة القاطعة !»، وعجبت لمطالبة الكاتب إعطائه البراهين والأدلة القاطعة على أن الأرقام العربية التي يستعملها العرب منذ قديم الزمان، والتي حشوا بها مصافحهم وكتب تراثهم ومراجع علومهم وفنونهم، عربية الأصل والمنبع، وأنها ليست هندية كما يدعي بل يطالب بإصرار بنبذها ورفضها.

وجوابي على الدكتور الفاضل من الوجهة الشرعية والعقلية هو أن هذه الأرقام أرقامنا، ونحن ثابتون عليها أباً عن جد من قديم الزمان، وثبوتنا قطعي، ولا يرتفع حق قطعي إلا بدليل قطعي، والثبوت عند الفقهاء الإسلاميين والعالميين أقوى مراتب الملك ، وإذا طالبنا الأوروبيون أو الهنود بعدم استعمال أرقامهم — هذا على فرض دعوى الكاتب أنها أرقامهم — فلنا معهم كلام.

وكما يقول الفقهاء : من ادعى شيئاً طولب بدليله، فنحن نطالب الدكتور الفاضل بأن يعطينا البراهين والأدلة القاطعة على صحة كلامه وما يتبنى الدعوة إليه تحت عنوان (تعريب بالأرقام).

(٥) نشر بجريدة الجزيره عدد ٣٨٨١ في ٢٣ رجب ١٤٠٣هـ.

أما من الناحية الأدبية، فاعتقد أن الخوض في شيء يمس تراثنا العربي أو الإسلامي بإعلان نبذه والتجرد منه وعلى صفحات الجرائد ليس من حق أي فرد، بل هو من حق الهيئات العلمية العليا والأكاديميات الكبرى.

وأما من الناحية الحسية والمنطقية فأقول أنه حتى ولو قررت أكبر الهيئات وأعظم الأكاديميات استبدال أرقامنا هذه بأخرى — وهو محال الوقوع — لما وجد عربي واحد يستجيب لهذه الدعوة، لأن العدد علم من العلوم، والعلوم كلها مشاعة بين العباد كشيوع الماء والهواء، كل إنسان له أن يشرب من الماء أعذبه وأحلاه ويتنفس من الهواء أصفاه وأنقاه، ويأخذ من العلم أحدثه وأرقاه.

وحول احتجاج الدكتور الفاضل أن اليونسكو العربية أصدرت توصية إلى حكومات الدولة العربية (باستخدام الأرقام العربية الأصيلة بدلاً من الأرقام الهندية المستخدمة حالياً) فأعتقد أن اليونسكو العربية مطالبة هي الأخرى بالأدلة والبراهين القاطعة على أن هذه الأرقام التي نستخدمها اليوم والتي استخدمها الآباء والأجداد ليست كلها أو بعضها أرقاماً عربية في الأصل، وأن العرب أو بعضهم لم يستخدموها لا قبل الإسلام ولا بعده، وأن الهنود هم الذين اخترعوها أو ادعوا — على الأقل — اختراعها وطلبوا منا عدم استخدامها، على أننا نريد من اليونسكو العربية أن تكرر اهتمامها لما يجري في فلسطين على أيدي الصهاينة من هدم لتراث الإسلام بالجملة وعبث بثقافة العرب وعلومهم تحدياً وتعنتاً ومجاهرة.

ولكثرة ما كتب حول الأعداد حررت مقالا قبل أسبوعين وأرسلته إلى إحدى المجلات الوطنية، فإن هو حظي بالنشر، فسوف يجد فيه الدكتور صاحب المقال بعض مطلوبه من الأدلة، ولا أقول (القاطعة) لأن الدليل القاطع أو القطعي عند علماء الأصول أمر خطير الشأن لا يثبت إلا بنص من القرآن الكريم أو السنة الصحيحة أو الإجماع، ولهذا فإنها قليلة تلك الأحكام الشرعية التي دليلها قطعي، ولهذا أيضاً يكون بعلم دكتورنا الفاضل أنه لم

يُسمع على مر التاريخ بمن طالب بدليل قطعي في حدث من أحداث التاريخ بله مجهول من مجاهله كقضايا اللغة والكتابة والأرقام والأصوات إذ لا مرجع في ذلك غير ما يسمى بالباليوغرافيا (أي علم الكتابات القديمة) .

وعلى هذا ، فمن عنده أية كتابة (قديمة) سواء كانت سبئية أو معينة أو سنسكريتية أو إغريقية أو حتى يهودية فليبرزها، لأن موضوع اختراع العدد واستعماله قديم ويسبق عصر الخوارزمي بعدة قرون.

الأرقام الغبارية ماهى وما علاقتها بالأرقام العربية*

يتساءل الكثير في هذه الأيام عن الأرقام (الغبارية) ماهي؟ وما المقصود بها؟ وما علاقتها بالأرقام الأوربية أو العربية أو الهندية؟ وما هو الأصل والفرع في كل من أرقام العالم القديم والحديث؟ وأمثال ذلك من التساؤلات، وها أنا أخرج ما عندي من معلومات في هذا الصدد تاركاً لغيري من الدارسين والباحثين الفحص والتحصيل فأقول :

الأرقام الغبارية هي الأرقام البدائية الأولى التي استعملها العالم القديم، وسميت غبارية لأنها كانت تخط على الرمل الذي ينمحي ويتلاشى غباراً، فهو وصف لما تتحول إليه.

وكان خط الأرقام على الرمل قديماً وعند جميع الأمم ضرورة لإنجاز العمليات الحسابية المستعجلة بين البائع والمشتري، وهذا لايعني أن الأرقام لم تكتب نحتاً على الصخور، أو حفرأ على الخشب، أو نقشأ على الجلود وسفاح النخل.

وأقدم من استخدم الأرقام العددية من أمم العالم القديم هم العرب والهنود، ولا يوجد أي مصدر يوضح لنا أيها الأقدم استعمالاً لها، إلا أننا

(٥) نشر بالمجلة العربية (٧) ذو القعدة ١٤٠٣ هـ.

نستطيع — وبما لدينا من نقوش عربية قديمة — أن نحدد القرن الرابع عشر قبل الميلاد تاريخاً لاستخدام العرب للأرقام، وكان السائد قبل ذلك وبعده أيضاً ذكر العدد كتابياً بواسطة حروف الكتابة، بحيث يقدم العدد الأصغر على الأكبر، ك (عشرين وألف) و(ثلاثين وأربعمائة وألف) كما جاء في عدة نقوش عربية جاهلية انظر نقش الملك الحميري شرحبيل القرن الرابع للميلاد ونقش أبرهة ملك سبأ وذي ريدان، (القرن السادس للميلاد) في كتابنا (لغات اليمن القديمة) وهي نفس الطريقة الشائعة عند العرب اليوم.

وأقدم أمة عربية استعملت الأرقام العددية هي الأمة الصينية التي تعود نقوشها إلى ما قبل القرن السابع عشر قبل الميلاد، وعلى أيدي السبئيين والحميريين والأنباط تطورت ثم التصق بعضها في بعض كما التصقت حروف الكتابة، فبعد أن كان الواحد عند السبئيين والمعينيين يرمز إليه بخط عمودي واحد والاثنين بخطين والثلاثة بثلاثة خطوط والأربعة بأربعة والخمسة بنصف حرف العين والعشرة بحرف العين كاملاً والمائة بحرف الميم والألف بحرف الألف، وجدنا الخط العربي الحديث يرمز إلى الإثنين بخطين متصلين وإلى الثلاثة بثلاثة خطوط متصلة، وكان رقم الأربعة إلى ما قبل حين يكتب بأربعة رؤوس كنتيجة لعقلية الوصل التي ذكرناها آنفاً أي هكذا (٤) وظل رقم الخمسة لعدة قرون نصف حرف العين وحرف العين الذي اخترعه المعينيون والذي كان على شكل دائرة استخدم للصفر عند العرب المغاربة ومازال كذلك وعنهم أخذ العرب.

وعن العرب الأقدمين أخذ الرومان تلك الأرقام ونشروها في مستعمراتهم، ودليلنا على ذلك استعمال العرب لتلك الأرقام قبل وجود الرومان وثقافة الرومان بعدة قرون.

أما الأرقام التي يستعملها الغرب، فبعضها نفس الأرقام العربية المتطورة فالواحد هو الواحد وكذا الإثنان، والثلاثة هي الثلاثة، مع اختلاف في الوضع لا غير، ومهما يكن من تحول ظاهر في بقية الأرقام، فإن الغرب إنما

قلّد العرب المغاربة في تلك الأرقام وسماها بأسماء أخرى (كأرقام الزوايا) و (حصى فيثاغورس) ونحو ذلك، والبعض يسميها بالأرقام الغبارية.

وقد أخطأ كل من الخوارزمي، والإقليدسي والبغدادى واليعقوبى في تسمية الأرقام العربية بالهندية أو الرومانية وما ذلك إلا لأنهم كانوا يجهلون قراءة النقوش العربية القديمة.

وكما أخطأوا في نسبة الأرقام إلى الهنود، أخطأوا في نسبة الصفر إلى الرومان البيزنطيين أيضاً، مع أن المعينين العرب هم الذين اخترعوه منذ ثلاثة آلاف عام عندما استعملوا حرف العين — وكان عندهم على شكل العدد خمسة المستعمل لدينا حالياً — كدلالة على الرقم عشرة باعتباره الحرف الأول من لفظ (عشرة)، وقد نقله العرب المغاربة إلى أوروبا بعد أن ظل مستخدماً في الجزيرة العربية ومصر والشام بتلك الوضعية حتى القرن الرابع الهجري، كما جاء في فصول الإقليدسي، وتكملة البغدادى، وفهرست ابن النديم

ومستندنا في أن الصفر هو الآخر عربي الأصل نقوش براقش والسوداء المعينيتين والموسومة بنقوش هاليقي — (٨٩، ٩٨، ١٠٢) ونقوش محمد توفيق التي نشرها المعهد الفرنسي في الخمسينات الميلادية بعنوان (نقوش معين في جوف اليمن) ثم قام الدكتور خليل يحيى نامي بنشرها ثانية بالشرح والتفصيل في أعداد متوالية من مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، والله أعلم.